من معالم النزعة الإنسانية في الإسلام: معلم الحرية أنموذجا

Humanity and its milestones in Islam

د. بن علي محمد*

المركز الجامعي أحمد زبانة –غليزان، الجزائر، mohamed.benali@cu-relizane.dz

تاريخ الاستلام: 2018/08/03 تاريخ القبول: 2019/06/19

الملخص:

تهدف هذه المقالة للتذكير بالقيم النبيلة للإسلام تجاه هجوم خصومه الذين اصبحوا في وقتنا هذا لا يذكرون الاسلام الا بصفات التخلف والعنف والتطرف، في حين انه الدين الذي اعلى من قيمة الانسان وكرّمه قبل كل التشريعات الوضعية التي تدّعي السبق.

الكلمات المفتاحية: الدين؛ الاسلام؛ الانسان.

Abstract :

This article aims to recall the noble values of Islam against its adversaries who today only mention Islam in terms of delay, violence and extremism, whereas this religion is above human worth and human dignity.

Key words: Religion; Islam; Human.

* المؤلف المرسل

المقدمة:

يكشف لنا استقصاء النصوص المؤسسة للفكر الإسلامي، وبوضوح عن مركزية الإنسان في تلك النصوص التي تناولت إشكالية الإنسان من ناحية مجملة، تكشف عنها الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، التي تتحدث عن خلق الإنسان وأصل تكوينه وتفضيله على بقية الخلق؛ وعن مهمته الوجودية، التي من أجلها خلق، وعن القيم المساعدة له في أداء مهمة الوجودية، كالحرية والعدل والمساواة...الخ. ولهذا كان استقصاء مقصود الشرع أمرا ضروريا، لفهم فلسفة الحق في الخلق.

موضوع البحث:

يهدف البحث لإماطة للّثام عن إشكالية تثير الكثير من الجدل في ظل المتغيرات المستجدة، والتقدم والمدنية التي أحرزتها الشعوب الغربية، لا سيما وأنها- اصبحت في نظر الكثيرين- تعد النموذج الإيجابي على الساحة العالمية للارتقاء بإنسانية الإنسان، في ظل الانتهاكات التي يعانيها الإنسان في دول العالم الثالث عموما، ودول العالم العربي الإسلامي على وجه الخصوص، في ظل كل هذه المتغيرات أصبح النظام الغربي بتشريعاته التي عبر عنها الفكر الليبرالي هو الواقع الذي يفرض نفسه، حتى ولو تعارض في كثير من محاوره مع قيمنا الدينية والثقافية.

منهجية البحث:

عملا بالقاعدة الإبستمولوجية القائلة بأن طبيعة الموضوع هي التي تحدد طبيعة المنهج، فإننا في هذا البحث سوف لن نعتمد على منهج واحد بعينه، بل سوف نوظف المنهج المناسب في الظرف المناسب، ولهذا وظفت المنهج التاريخي لتتبع تمظهرات مفهوم الإنسان في مختلف الحقب، كما وظفت المنهج الاستنباطي لاستنباط دلالات مفهوم الحرية من النصوص المؤسسة للفكر الإسلامي.

إشكالية البحث:

-كيف تجلت انسانية الانسان في النصوص الاسلامية المؤسسة ؟

- وكيف برزت قيمة الحرية كمعلم من معالم انسانية الانسان ؟

- وهل واقع الحرية في المجتمعات الاسلامية اليوم يوافق ابعادها التأسيسية في الكتاب والسنة؟

خطة البحث:

مقدمة

المبحث الأول: تحديد مفاهيم الدراسة

المطلب الأول: مفهوم الإنسان

المطلب الثاني: الإنسان في القرآن الكريم

المبحث الثاني: معالم النزعة الإنسانية في النصوص المؤسسة للفكر الإسلامي

المطلب الأول: قيمة الحرية في الإسلام

المطلب الثاني: الإسلام ومشكلة الرّق

الخاتمة.

المبحث الأول: تحديد مفاهيم الدراسة:

المطلب الأول:– مفهوم الإنسان:

أ)– لغة: جاء في لسان العرب: "الإنسان أصله إنسيان، لأن العرب قاطبة، قالوا في تصغيره: أنيسيان، فدلت الياء الأخيرة، على الياء في تكبيره، إلا أنهم حذفوها لما كثر النّاس في كلامهم ورويّ عن ابن عباس(ض) أنه قال:إنما سمي الإنسان إنسانا، لأنه عهد إليه فنسى، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَىٰ آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا﴾[طه:115]، فقال أبو منصور: إذا كان الإنسان في الأصل أنسيانا، فهو إفعلان من النسيان. وروى المنذر عن أبي الهيثم، أنه سأله عن النّاس ما أصله؟ فقال:الأناس، لأنّ أصله أناس، فالألف فيه أصلية، ثم زيدت عليه اللام التي تزاد من الألف للتعريف، فلما زادوها على أناس،صار الاسم الأناس، ثم كثرت في الكلام، فكانت الهمزة واسطة، فاستثقلوها فتركوها، وصار الباقي النّاس، بتحريك اللام بالضمة، فلما تحركت اللام والنون، أدغموا اللاّم في النون، فقالوا: الناس.والإنس: جماعة الناس، والجمع أناس، أقول رأيت بمكان كذا وكذا أناسا كثيرا، أي ناسا كثير. ومنه قول الشاعر: وقد ترى بالدار يوما أناسا، والأنس: بخلاف الوحشة، والأنس والاستئناس في اللغة، هو التآنس، لأن الناس يأنس بعضهم إلى بعض. والإنس: البشر، واحده إنسي وأنسي أيضا. ويقال للمرأة أيضا إنسان، ولا يقال لها إنسانة"[1].

ب– اصطلاحا: عند الفلاسفة وأرباب المنطق، الإنسان حيوان ناطق، قال ابن سينا:"ليس الإنسان إنسانا بأنه حيوان، أو مائت، أو أي شيء آخر، بل بأنه مع حيوانيته ناطق"[2] .

أما الفلاسفة الإلهيون وجمهور المتكلمين، فاختلفوا حول ماهية الإنسان، فذهب المتكلمون إلى القول بأن الإنسان عبارة عن هذه البنية المخصوصة المحسوسة، وعن هذا الهيكل المجسم المحسوس، فإذا قال: "أنا أكلت...فإنه يريد بذلك البدن، لكن الفلاسفة الإلهيون يرون أن الإنسان هو المعنى القائم بهذا البدن، ولا دخل للبدن في مسماه، وليس المشار إليه بـ أنا هذا الهيكل المخصوص، بل الإنسانية المقومة لهذا الهيكل، فالإنسان حسب

رأيهم، شيء مغاير لجملة أجراء البدن، وهذه الآراء كما هو ملاحظ لا تلتئم بها حقيقة الإنسان.

وهذا ما أشار إليه ابن سينا بقوله:"مثال ذلك الإنسان، فإنه يحتاج أن يكون جوهرا، ويكون له امتداد في أبعاد، تفرض فيه طولا وعرضا وعمقا، وأن يكون مع ذلك ذا نفس وأن تكون نفسه، نفسا يفتدي بها، ويحس، ويتحرك بالإرادة، ومع ذلك يكون، بحيث يصلح أن يتفهم المعقولات، ويتعلم الصناعات ويعلمها...فإذا التأم جميع هذا، حصل من جملتها ذات واحدة تسمى ذات الإنسان". وإلى قريب من هذا الرأي ذهب الفارابي بقوله: "إن الإنسان منقسم إلى سر وعلن. أما علنه فهو الجسم المحسوس، بأعضائه وإمتساحه، وقد وقف الحس على ظاهره، ودلّ التشريح على باطنه، وأمّا سره فقوى روحه"[3].

والإنسان عند المتصوفة أشرف المخلوقات، "فهذا الشخص الإنساني، عجن الله طينته بيديه...وجعل ذلك من عنايته بهذا النوع الإنساني...فما فضل الإنسان غيره من الأنواع العنصرية، إلا بكونه بشرا من طين، فهو أفضل نوع من كل ما خلق"[4].

"والإنسان الكامل الحقيقي، هو البرزخ بين الوجوب والإمكان، والمرآة الجامعة بين صفات القدم وأحكامه، وبين صفات الحدثان، وهو الواسطة بين الحق والخلق، وبه وبمرتبته يصل فيض الحق، والمدد الذي سبب بقاء ما سوى الحق إلى العالم كله، علوا وسفلا"[5]. وهو محمد "إنما كانت حكمته فردية لأنه أكمل موجود في هذا النوع الإنساني، ولهذا بدئ الأمر به وختم"[6].

وفي مراتب الوجود، يرى الصوفية "أن الإنسان أنزل المجودات مرتبة في الظهور، وأعلاهم مرتبات في الكمالات، ليس لغيره ذلك... أنه الجامع للحقائق الحقيقية، والحقائق الخلقية جملة وتفصيلا، حكما ووجودا، بالذات والصفات، لزوما وعرضا، حقيقة ومجازا، وكل ما رأيته أو سمعته في الخارج، فهو عبارة عن رقيقة من رقائق الإنسان، أواسم لحقيقة من

حقائقه"[7]، فالإنسان هو الحق، وهو الذات، فالإنسان بهذا هو الجامع لجميع العوالم، الإلهية والكونية، الكلية والجزئية. لهذا يرى ابن رشد "أن الإنسان حفي به الكمال، ولذلك كان أشرف الموجودات التي في هذا العالم، لأنّه هو النظام بين الموجودات المحسوسة الناقصة، أعني التي تشوب فعلها أبدا القوة، وبين الموجودات الشريفة التي لا تشوب فعلها قوة أصلا، وهي العقول المفارقة، ووجب أن يكون كل ما في العالم إنما هو من أجل الإنسان وخادم له، إذ كان الكمال الأول، الذي كان بالقوة في الهيولي الأولى إنما ظهر فيها. ويذهب إلى:أن الإنسان أشرف من كثير من الموجودات، ومنها أنه إذا كان كل موجود يظهر من أمره أنه لم يخلق عبثا، وأنه خلق لفعل مطلوب منه، وهو ثمرة وجوده"[8].

المطلب الثاني: الإنسان في القرآن الكريم:

1- مسألة الخلق: يحمل القرآن الكريم مفهوما متميزا عن طبيعة الإنسان وظيفته، يختلف عن مفهوم النظريات المادية والتطورية قديما وحديثا[9]، فالقرآن ينظر إلى الإنسان على أنه مخلوق لغاية هي عبادته سبحانه وتعالى واعتمار الأرض، وتوجيه الحياة طبقا لأوامر الله ونواهيه[10].

وما جاء في قصة آدم عليه السلام في القرآن الكريم، يمثل أفضل وأدق وأشمل تعبير عن طبيعة الإنسان، حيث أدم عليه السلام أصل الجنس البشري، ليس بالمعنى البيولوجي فحسب، ولكن من الناحية الفلسفية والسلوكية والرمزية، فالإنسان في نظر الإسلام كائن لا هو بالملاك، ولا هو بالحيوان، وإن كان في بعض حالات الهبوط يصبح أسوأ من الحيوان، ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾[الأعراف:179]. وفي بعض حالات الارتفاع يسمو بروحه إلى مستوى الملائكة من الطهر، ولكنه في حالته الطبيعية شيء بين هذا وذاك، مشتمل على استعداد للخير كما هو مشتمل على استعداد للشر.

"والإنسان قابل من طرفيه هذين، أن يهبط أو يصعد بحسب التوجيه الذي يوجه إليه، فالإنسان وبالرغم من أنه كائن ينتمي إلى الوجود العالمي، إلا أنه كائن متميز عن سائر الكائنات، سواء من حيث خلقه وتكوينه أو من حيث منزلته في الكون، أو في نطاق المنظومة الوجودية"[11].

2-مسألة التكريم:

لقد كان الإنسان وجودا في العلم الإلهي قبل أن يصبح له وجود عيني، ووجوده في علم الله كان يتضمن تفاصيل كيانه، كما كان يتضمن المهمة التي سيعهد إليه القيام بها في الكون، ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾. ولهذا الاعتبار، فإن الإنسان سبق وجوده[12] في العلم الإلهي وجوده العيني في الكون، فليس ذلك الوجود العيني إلا تحقيقا لتلك الماهية، وفيما ينبغي أن ينجز الإنسان من مهمة الخلافة. أما الوجود العيني للإنسان فقد كانت نقطة البداية فيه خلق آدم أبو البشر جميعا، وإذا كان الكون في عمومه وبسائر مخلوقاته ربما مر بأطوار متعاقبة حتى آل إلى الصورة التي عرفها منه الإنسان، فإن الخبر القرآني الذي وصف خلق الإنسان الأول -أدم عليه السلام- يفهم منه أن هذا الإنسان خلق متكامل الصورة على سبيل الطفرة الفجائية لا على سبيل الانقلاب التطوري، الذي انحدر فيه من سلالات حيوانية دنيا حتى وصل إلى صورته الراهنة، وهو ما تفيده آيات قرآنية عدة مثل قوله تعالى: ﴿ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ، فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾[ص:72-71].

لقد كرم الله تعالى هذا المخلوق البشري على كثير من خلقه، كرّمه بخلقه على تلك الهيئة التي تجمع بين الطين والنفخة فتجمع بين الأرض والسماء، ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾[الإسراء: 70]. وكرّمه بالاستعدادات التي أودعها فطرته، وبتسخير القوى الكونية

له في الأرض. وكرّمه بإعلان هذا التكريم كله في كتابه المنزل من الملأ الأعلى وجعله قرآنا يتلى إلى يوم الدين[13]، والحمل في البر والبحر يتم بتسخير النواميس وجعلها موافقة لطبيعة الحياة الإنسانية وما ركّب فيها من استعدادات، ولو لم تكن هذه النواميس موافقة للطبيعة البشرية لما قامت الحياة الإنسانية.

والقرآن الكريم عند ذكره للإنسان في معرض الموجودات يخصه دوما بالتمييز والرفعة، وهذا التفضيل للإنسان والإعلاء لشأنه بين سائر المخلوقات أظهرته قصة خلق آدم وما وقع فيها من أحداث، فقد بينت هذه القصة أن الكائن الجديد أدى إلى تغير جذري في النسب بين الموجودات، حيث أصبح القطب الوجودي الذي ترنوا إليه المخلوقات جميعا، وتتحدد قيمتها بقدر ما تقترب منه أو تبتعد عنه، وما جاء من سيجود الملائكة لآدم – وهم أشرف المخلوقات– لنيل الرضي الإلهي، ومن امتناع إبليس من السجود ونيله بذلك اللعنة والخسران، إنما هو رمز لتحوّل في قطبية المخلوقات لتكون في صالح هذا القادم الجديد، فأول تكريم لآدم أن خلقه الله بيده، وهذا فيه تنبيه على أن هذا الخلق ليس خلقا عاديا من قبيل"كن فيكون"[14]، ولكنه خلق له خصوصية ليكون هذا التكريم شاملا عاما لكل إنسان دون تمييز، فالله سبحانه وتعالى كرم البشرية جمعاء، وأعطى كل بني أدم هذه المكانة المميزة بين خلقه، ليكون التكريم من أهم العناصر التي ساهمت في بناء الحرية الإنسانية"[15].

إن حقيقة رفعه الإنسان وعلو شأنه أدت إلى حقيقة عقائدية أخرى وهي تسخير الكون للإنسان، فالله تعالى هيأ العالم بحيث يكون صالحا لاستقبال الإنسان، وسخرّ موجداته لخدمته تسخيرا، فحدد الأبعاد والقوانين والأحجام بما يتلاءم والمهمة الأساسية لخلافة الإنسان في الأرض وما يستجيب لقدرته على التعامل العمراني مع الطبيعة تعاملا ايجابيا فعّالا، ﴿وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾[الجاثية:13]. والإنسان في كل ذلك كان مهيأ للسيادة على العالم فالله سبحانه وتعالى كرّمه تكريما كبيرا في خلقه على أحسن صورة وأكملها وفي نفخ الروح فيه،

وفي تعليمه الأسماء كلها.فكان الإنسان مفكرا حرا قادرا على التميز والاختيار، وقادرا على التعامل مع موجودات الأرض عند استخلافه فيها.

والإيمان بتسخير الكون للإنسان يدفع به إلى اقتحام الكون فعلا للاستثمار، إذ يؤمن بأنه منفتح له مهيأ للعطاء، فيمتلئ ثقة واطمئنانا بإيجابية المردود وينتفي من نفسه كل شعور باليأس والاستصعاب، ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَنْشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا كَذَلِكَ تُخْرَجُونَ وَالَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْفُلْكِ وَالْأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ لِتَسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ﴾ [الزخرف:10-13].

وهذا ما يبيّن ان مفهوم الكرامة الإنسانية في الإسلام يتميز بخاصتي الشمول والعموم، والعمق والرحابة والامتداد في الزمان والمكان. "ولعلّ من دقائق المعاني التي ينبغي الانتباه إليها، أن آية التكريم من سورة الإسراء جاءت في صيغة العموم، فالآية تشير إلى تكريم الله لبني أدم، وليس لجماعة المؤمنين، أو لفئة معينة من الناس، فالتكريم هنا عام يشمل جميع البشر وينسحب هذا المعنى من الماضي الى الحاضر ويستغرق المستقبل، بصرف النظر عن أصل الانسان ودينه وعقيدته، أو مركزه وقيمته في الهيئة الاجتماعية"[16].

ولا يملك أحدٌ أن يجرّده من كرامته التي أودعها في جِبلَّته وجعلها من فطرته وطبيعته، يستوى في ذلك المسلم وغير المسلم من أهل الأديان الأخرى، أو من لا دين له، فالكرامة البشرية حقٌ مشارعٌ يتمتع به الجميع من دون استثناء، وتلك ذروة التكريم وقمة التشريف.

3- مسألة التمكين:

مكّن الله للناس في الأرض وجعل معاشهم فيها: فطالما أن الناس يتحدون في الأصل الإنساني، فمن الوجاهة بمكان أن يمكّن لهم جميعا في الأرض، والمعنى المقصود من التمكين ليس هو فقط اتخاذها مكانا، وإنما يتسع ليشمل الهيمنة والتحكم فيها لتحصيل المعاش واكتساب المنافع، والهيمنة[17] على الأرض للانتفاع بها يصحبه إدعاء الملكية المانعة والأحقية الخاصة الخالصة، وقد يتخذ ذلك وسيلة للاستعلاء فيها وبها على الآخرين، ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ﴾[الأعراف:10]. ذلك لأن الأرض هي المصدر الأساسي للثروة، ومن استحوذ عليها واحتكرها فقد صارت له السيادة على الآخرين[18]، ومن أبعد عنها فقد عرّض للفاقة والتبعية، فلا بد إذن والحالة هذه من أن تكون الأرض دولة بين الناس، إذا حرم نفر من تملكها أتيح لهم من طريق آخر الانتفاع بما يعود، فلا يمتاز أحد لمجرد أنه يمتلك الأرض ولا يفتقر آخر لمجرد أنه لا يملك الأرض، والخطاب موجه للناس جميعا وبصفتهم الإنسانية لا بصفتهم الإعتقادية. وهكذا نرى أن مفهوم الإنسان، مفهوم ذو بعدين: بعد عقلي (العقل والتمييز والنطق)، وبعد حضاري (الحظ وتدبير المعاش والأكل باليد وركوب البر والبحر والتمتع بالطيبات)، ليس هذا وحسب بل إن تكريم الإنسان يشمل تفضيل الله له على المخلوقات الأخرى، الجماد والنبات والحيوان والجن والملائكة.

ورد في القرآن قصة إمتناع إبليس عن السجود لآدم في سياق آخر أكثر تفصيلا يعطي لمفهوم"تكريم" الإنسان بعدا أخرا حرر الفكر الإسلامي من هاجس الخطيئة الذي هيمن على الفكر الأوروبي في القرون الوسطى، يقول تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ

أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾[البقرة:30-32]. وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾[البقرة: 34-37].

إن الإنسان في المنظور القرآني روح وجسد[19]، ولم يرد في القرآن قط ما يحط من قدر الجسم، بل بالعكس يذكر الجسم في القرآن في معرض الأمور التي بها يكون الفضل والتفوق. ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾[البقرة: 247].

المبحث الثاني: معالم النزعة الإنسانية في النصوص المؤسسة للفكر الإسلامي:

يعد الإنسان أحد مقومات التصور الإسلامي الأربعة: الألوهية والكون والحياة والإنسان. ومن هذا المنطلق اهتم الإسلام- "ممثلا بالمنهجين القرآني والنبوي"- اهتماما كبيرا بالإنسان وتربيته من جميع جوانبه بشمول وتكامل وتوازن، بحيث لا يفضل جانبا ولا يطغى جانب على آخر، فالإنسان ليس تطورا طبيعيا بفضل تعقيد المادة وارتقائها، ولا هو تطور بيولوجي كما تشير النظرية التطورية[20]، بل خلقه الله تعالى بقضائه وقدره ، ووضع فيه آياته المعجزة، ما يكفي للدلالة على أنه تصميم إله مقتدر، والإنسان بخصائصه المادية والروحية، وحدة متكاملة تحمل إمكانية العقل وإمكانية الاختبار وحرية الإرادة، ولذلك حمّله الله الأمانة والمسؤولية ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾[الأحزاب:72]

المطلب الأول: قيمة الحرية[21]في الإسلام:

إن وظيفة الخلافة التي جعلت غاية للوجود الإنساني تعني مباشرة الإنسان للكون واستثمار منافعه وخيراته، كل ذلك تكميلا للذات في بعديها الفردي والجماعي، وترقية لها في وجهتها إلى الله تعالى، عبر منهاج العبادة ائتمارا بما أمر وانتهاء عمّا نهى، هذه الوظيفة بحقيقتها السالفة الذكر هيئ الإنسان في أصل خلقته للاضطلاع بها، وإنجازها على الوجه الأكمل، ويتمثل ذلك بالأخص في حقيقتين أساسيتين .

أما الأولى: "فهي طبيعة التركيب الذاتي للإنسان فهذا التركيب يشتمل على جزء روحي يمكنّه من السمو والعلو نحو الأفق الإلهي الأعلى ليقبس منه مضمون الخلافة أمرا ونهيا، على سبيل الإدراك والإستعاب والتحمّل، كما يشتمل على جزء مادي يمكنه من مباشرة الأرض بالسعي فيها للإنشاء والتعمير"[22].

وأما الثانية فهي حقيقة التكاليف: "فالإنسان هو الكائن الوحيد الذي حمل أمانة التكليف في حين أبت السماوات والأرض والجبال أن يحملنها، والتكليف هو مخاطبة الإنسان بمضمون الخلافة، وتمكينه من الاختيار بين أن يفي بما كلّف به، وبين أن يخل بالتزامه، على أساس من حرية الإرادة في الاختيار بين الإيفاء والإخلال، بعد التبصر لعواقب كل من الطريقين"[23].

هذه المهمة الوجودية التي أنيطت لعهدة الإنسان، كما رسمتها العقيدة الإسلامية بما بنيت عليه من الترقي الإنساني، فردا ومجتمعا عبر التفاعل مع الكون اعتبارا وتعبيرا في خط العبودية لله تعالى، من شأنها أن تضمن على الوجود الإنساني القيمة المثلى، وأن تجعل منه المخلوق الأعظم في الكون، "إذ هي مهمة تفسح أمامه من الآمال ما يدفع به إلى المزيد من الفعل في الكون، فالهدف المقصود بعيد، ولكنه مرئي واضح، ألا وهو الاقتراب من الله، بإنجاز الطاعات. وليس أدفع إلى الارتكاس بالإنسان إلى مهاوي الهلاك، والتدني بالذات الإنسانية والاستقالة من عمارة الكون، والسقوط في التظالم وممارسة السحق للكرامة

الإنسانية، من شعوره باليأس والقنوط لما يظن أن حياته قد استنفذت أغراضها، وأن وجوده في الكون أضحى ضربا من العبث"[24].

لذلك كانت الحرية في الإسلام محققة لعناصرها أيضا، "إذ من دواعي الواقعية أن الإنسان الحر إنسان فاعل منفعل في الوقت نفسه، وهذا يستدعي أن يكون مسؤولا عن كل فعل يقوم به، وأن يعرف ذاته والكون الذي يعيش فيه، وأن يكون سيد العالم والأرض التي سيمارس عليها حرية الاختيار، وهو ما تحقق إسلاميا بكل أبعاده ومضامينه ومراميه، ليكون الإنسان المسلم في وفاق تام مع الحرية التي أهلّ تأهيلا تاما لممارستها ومعايشتها والتواصل معها"[25].

إن أهم غاية للشرع الإسلامي هي تكريم الإنسان وتحريره، وتحقيق العدل والخير والسعادة له في الدنيا والآخرة، ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾[الأنبياء:107]. بهذا الأسلوب الذي يفيد- كما يقرر علماء البلاغة- حصر الرسالة الإسلامية في تحقيق الرحمة العامة الشاملة للعالمين جميعا، على اختلاف أجناسهم وألوانهم، وعلى امتداد زمانهم ومكانهم، حين يستجيبون لها، ويستضيئون بنورها، ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ ﴾[النحل:89]، وتحقيق هذه الرحمة السابقة لا يكون إلا بتحقيق العدل والمساواة والكرامة والحرية للناس جميعا، في ظل الشعور بالأخوة الإنسانية والنسب الواحد، ذلك الشعور الذي يجعل هذه الحقوق الإنسانية أمرا فطريا طبيعيا، وقدرا مشتركا بين جميع أفراد السلالة البشرية، يستند إلى وحدة الأصل والمنشأ، وتساوي الإخوة في الحقوق والواجبات، ولذلك يذّكر القرآن الكريم بذلك ويلفت الانتباه، فينادي "يا بني أدم" في آيات كثيرة ﴿يَا بَنِي آَدَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آَيَاتِي فَمَنِ اتَّقَى وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾[الأعراف: 35].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾[النساء:1]. وقولهتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾[البقرة:21] تنبيها إلى هذه الرابطة النسبية المشتركة التي تقتضي التعارف والتعاطف، وإن يحب الأخ لأخيه ما يحبه لنفسه من كرامة وسعادة.

الإسلام إذن كان واقعيا في إعطاء الإنسان حرية الاختيار، وكان واقعيا في جعل الجزاء مرتبطا بنتيجة هذا الاختيار، "لأنه لا يمكن أن تكون الحرية دون ضابط نهائي يضع لها طريقا منضبطا، إذ لو كانت الحرية كذلك، لما كان لهذه الحرية أي معنى، وعندها تتساوى الإيجابيات والسلبيات، فالإنسان في الإسلام حر في مجال عقله وإرادته واستطاعته، ولكن الواقعية جعلت هذه الحرية مرتبطة بنتيجة لابد منها، بما يعني عدلا مطلقا لأن حياة الإنسان اختبار، والاختبار لا يكون دون نتيجة. من هنا اتصف الدين الإسلامي بالتوازن والواقعية، ورفض المبالغة والشطط في كل شيء"[26]، دين يرتكز على قراءة واعية وعميقة لحياة الإنسان، فالحرية في الإسلام حرية تنطلق من الواقع المعاش، وتبقى في إطاره، لتكون حرية ممكنة من جهة، وقابلة للتحقق من جهة ثانية.

ولهذا فالمفهوم القرآني يربط بين الحرية (بالمصطلح القرآني المشيئة)، وبين مفهوم الحق، وقيّم الإيمان، بل يجعل من قيمة الحرية في معناها الحقيقي حالة الاختيار إزاء الحق، ولا يعترف بقيمه للحرية خارج إطار هذا المفهوم، ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ﴾[الكهف:29]، فهنا وضع الكفر والإيمان في المشيئة (مشيئة الإنسان)، لأنّ خيارات الإنسان تحتمل الوجهين، وله الخيار فيهما، أي أن الخطاب يربط بين الحرية والحق، ويحدد الإنسان في سعيه نحو التوحيد والإيمان بالحق، وهو سعي دؤوب، لا يكلّ منه الإنسان ولا يمل، ويرى أن هداية الإرادة الحر للإنسان بالتشريع الإلهي هو الذي يجعل الإنسان في الطريق الصحيح، الموصل إلى العدل والمساواة والحرية .

يمثل القرآن الكريم في جوهره اعلان لتحرير الإنسان بالمعنى الكامل والواسع والعميق للكلمة، فعلى المستوى الفكري العقدي، جاء القرآن ليشن حملة لا هوادة فيها على عقائد الكهنة الذين﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [التوبة:31]، فلا واسطة بين العبد وربه ولو كان نبيا مرسلا أو ملكا مقربا: ﴿وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا ﴾[آل عمران:80]، كما رفض القرآن أن يكره إنسان على اعتقاد ما، فليس لبشر أن يكره بشر على الإيمان ولو كان رسول الله ﷺ . قال تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ [يونس:99].

وليس في المنهج القرآني، لأحد أن يمثل الواسطة بين الله وعباده، فالقلوب منطقة حرام ليس لأحد السيطرة عليها إلا باريها، لذلك لم يقبل الله تعالى اعتذار الضعفاء بأنهم أطاعوا السادة والكبراء، أو أنهم كانوا مستضعفين في الأرض، يقول تعالى:﴿وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا، رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا﴾[الأحزاب:67-68]. وفي موضع اخر يصور القرآن الكريم ذلك الحوار المعبر بين التابعين والمتبوعين قال تعالى:﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ نُؤْمِنَ بِهَذَا الْقُرْآنِ وَلَا بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ الْقَوْلَ يَقُولُ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لَوْلَا أَنْتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ،قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا أَنَحْنُ صَدَدْنَاكُمْ عَنِ الْهُدَى بَعْدَ إِذْ جَاءَكُمْ بَلْ كُنْتُمْ مُجْرِمِينَ وَقَالَ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَنْدَادًا وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَجَعَلْنَا الْأَغْلَالَ فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [سبأ: 31-33].

وفي موضع أخر يصوّر لنا حجاجا بين أهل النار الضعفاء والذين إستكبروا فيقول عز من قائل: ﴿وَإِذْ يَتَحَاجُّونَ فِي النَّارِ فَيَقُولُ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِنَ النَّارِ،قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُلٌّ فِيهَا إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ﴾[غافر:47-48]. بهذا الوضوح والإسهاب دافع القرآن بكل قوة وصرامة عن مبدأ الحرية، بل جعل ذلك الإكراه غير مقدور لأحد إلا لله، من أجل ذلك، لم تكن نهاية الاستضعاف بأحسن حالا من نهاية الاستكبار فهما وجهان لعملة واحدة.

نخلص للقول أن حرية الإرادة من أهم العناصر المكونة لإنسانية الإنسان، فكل الموجودات الكونية خلقت مسوقة إلى مصائرها، إلا الإنسان فقد خلق بإرادة حرة يختار بها مصيره، وهو معنى قوله تعالى: ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾[الأحزاب:72].

المطلب الثاني: الإسلام ومشكلة الرّق:

لقد كانت مسألة الرق من أهم المداخل التي حاول- المستشرقون- توظيفها لزرع الآراء المشككة في رسالة الإسلام ومعاداته للحرية، فهم لا يرون في الإسلام إلاّ النقص والقصور-بتعبير الشيخ البشير الابراهيمي- الذي انبرى للرد على شبهاتهم قائلا: "يرى كثير من الباحثين الغربيين في شرائع الإسلام، أنه شرّع الاسترقاق ومكّن له وحماه، وجعله كلمة باقية في أتباعه، وأبقاه سمة مميزة له، حتى إنه كلما ذكروا الإسلام ذكروا معه الاسترقاق كنقيصة اختص بها"[27]؛ ثم يضيف"وإنما يصدرون عن أهواء غالبة، وأحقاد دفينة وتعصب موروث، يرثون كل ذلك عن سلفهم من رجال الكنيسة وفلول الحروب الصليبية، وعن التصويرات التبشيرية العصرية، التي يخططها أئمة الكهنوت، وينفق عليها المهوسون من أتباعهم، وتحميها الدول الاستعمارية بالجيوش والأساطيل"[28] .

علما أن: "الإسلام لم يخترع الاسترقاق ولم ينشئه، وإنما وجده فاشيا في العالم ، درجت عليه الأمم كلها من أحقاب قديمة متطاولة[29]. ودخل في حياتهم وتمكّن ونزل منها منزلة الضرورات الحيوية، وتعوّده الفريقان السادة والعبيد، وبنى كل واحد منهما أمره على ما قسم له من الأعمال...فأصبح الخروج عنها كالخروج من الحياة، ولكل من السيادة والعبودية آثار متطرفة في نفوس أصحابها لا يجمعها وسط، فالسادة تعودوا الاعتماد على العبيد في تصريف مصالحهم الحيوية المتنوعة، شريفها وخسيسها من منزلية وفلاحية، فإذا فارقهم العبيد ضاعت تلك المصالح كلها إذ لا يستطيع القيام بها بنفسه، فضاعت المصالح فاختل التوازن الاجتماعي، والعبيد تعودوا الاعتماد على السادة، في معاشهم وكسوتهم وتدبير ضرورياتهم كلها، فإذا فارقوهم وتحرروا دفعة واحدة لم يستطيعوا الاستقلال بالحياة، واختل التوازن الاجتماعي أيضا"[30] .

وهذا ما عبر عنه محمد الطاهر بن عاشور بقوله:"الشريعة التي دلت على أن من أهم مقاصدها إبطال العبودية وتعميم الحرية ولكن دأب الشريعة في رعي المصالح المشتركة وحفظ النظام وقف بها عن إبطال العبودية بوجه عام وتعويضها...كان ذلك التوقف من أجل أن نظام المجتمعات كان قائما على نظام الرق، فكان العبيد عملة في الحقول وخدمة في المنازل والغروس ورعاة في الأنعام، وكانت الإماء حلائل لسادتهن ودايات لأبنائهم، فكان الرقيق من أكبر الجماعات التي أقيم عليها النظام العائلي والاقتصادي لدى الأمم حين طرقتهم دعوة الإسلام، فلو جاء الإسلام بقلب ذلك النظام رأسا على عقب، لانفرط عقد نظام المدينة انفراطا تعسر معه عودة انتظامه، فهذا موجب إحجام الشريعة عن إبطال الرق الموجود"[31].

لقد وجد الإسلام ظاهرة الرق قائمة ولكنهلم يتركها ولم يغفلها ولم يؤجلها، بل جرى فيها على دأبه في علاج المساوئ الاجتماعية والأخلاقية، يصلح منها ما هو قابل الإصلاح في حينه، ويمهد للتقدم إلى المزيد من الإصلاح مع الزمن، كلما تهيأت دواعيه، فحرم الرّق

بجميع صوره، إلا ما تجلبه حرب شرعية، القصد منها رد العدو والمهاجم وإعلاء كلمة الله، فإذا لم تكن الحرب مشروعة في مقصدها فلا يترتب عليها استرقاق، وأباح الإسلام للإمام أن يتصرف مع أسرى الحرب بالمن أو الفداء حسبما تقتضيه مصلحة الأمة. أما عن السبيل العملي الذي اتخذه الإسلام لتحرير الأرقاء فقد سار في خطين هما العتق والمكاتبة، بغرض: "تضبيق الروافد التي كانت تمد الرق وتغذيه، وتكفل بقاءه. وتوسيع المنافذ التي تؤدي إلى العتق والتحرير"[32]، فالإسلام ينظر إلى تحرير الرقيق على أنه قربة يتقرب بها الإنسان إلى ربه، ويكفر بها خطاياه ومنها:

أ)-كفارة القتل الخطأ: ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَأً وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ إِلَّا أَنْ يَصَّدَّقُوا فَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ عَدُوٍّ لَكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ فَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَأً وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ إِلَّا أَنْ يَصَّدَّقُوا فَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ عَدُوٍّ لَكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ فَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ ﴾ [النساء:92]. والملاحظ هنا جعل كفارة القتل دية مسلمة إلى أهل القتيل وتحرير رقبة مؤمنة، فالقتيل الذي قتل خطأ هو روح إنسانية فقدها أهلها كما فقدها المجتمع دون وجه حق، لذلك يقرر الإسلام التعويض من جانبين، التعويض لأهلها بالدية المسلمة لهم، والتعويض للمجتمع بتحرير رقبة مؤمنة، فكأن تحرير الرقيق إحياء لنفس إنسانية تعوض النفس التي ذهبت بالقتل الخطأ، والرق على ذلك هو موت أو شبيه بالموت في نظر الإسلام على الرغم من كل الضمانات التي أحاط بها الرقيق، ولذلك فهو ينتهز كل فرصة "لإحياء الأرقاء بتحريرهم من الرق".

ب)-كفارة الظهار: ﴿وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾[المجادلة:3]، المراد بالرقاب الأرقاء. وقد ورد هذا المصطلح في القرآن مقترنا دائما بالتحرير. مما يدل على أن جوهر الدين كله هو عبادة الله وحده، ولم يدع الإسلام سبيلا لبشر لاسترقاق بشر مثله، ولالقوم أوجنس أن يزعموا الحق في استعباد قوم غيرهم بدعوى التفاضل بالقوة أو التمدن أو الثراء، أو بدعوى حق إلهي مزعوم في أنهم الصفوة المختارة من خلق الله، ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾[المائدة:18]. كما أسقط التفاضل بين الأفراد والشعوب بغير التقوى والعمل الصالح ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾[الحجرات: 13].

ج)- حرية العقيدة: وهي الحرية التي تقتضي أن يكون لكل إنسان حرية اختيار العقيدة التي يعتنقها ويؤمن بها، من غير ضغط ولا إكراه خارجي. وفي هذا الجانب من الحرية يقرر القرآن الكريم، في سور عديدة مكية ومدنية، أن كل إنسان حر في دينه وعقيدته، لا سلطان لأحد عليه فيها، فالعقيدة اقتناع داخلي وعمل باطني، لا يجزي فيه الإكراه، لأن الله خلق الإنسان وزوده بالعقل والقدرة على التمييز، وأبان له السبيل ثم ترك له حرية الاختيار: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾[الإنسان:2-3]. وبعد أن حثّ القرآن في هذه السورة على الإيمان وإتباع سبيل الإسلام، يقول في خاتمتها:﴿إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلًا﴾ [الإنسان:29].

يؤكد القرآن هذا المعنى في سورة أخرى، فيقول:"لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ"[البقرة: 256]. يروى في تفسير هذه الآية[33] أن ابن عباس قال: "نزلت في رجل من الأنصار يقال له أبو الحصين، كان له ابنان نصرانيان وكان هو مسلما، فقال للنبي ﷺ ألا

أستكرهما فإنهما قد أبيا إلا النصرانية، فأنزل الله هذه الآية. وقال الزمخشري في تفسيرها "لا إكراه في الدين"، أي لم يجر الله أمر الإيمان على الإجبار والقصر، ولكن على التمكين والاختيار:﴿وَلَوْشَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾[يونس:99]، أي لو شاء لقسرهم على الإيمان ولكنه لم يفعل وبنى الأمر على الاختيار.

علما أن مصطلح "الحرية الدينية" أو "الحرية العقيدة"، لم يطرح عند علماء المسلمين القدماء، وإن كانوا مدركين لحق الإنسان في اختيار دينه تمام الإدراك، بل ظهر على أيدي العلماء المعاصرين مع الحديث عن حقوق الإنسان ووضع الحريات في العالم، علما أن تعريف الحرية الدينية لا يخرج كثيرا عن تعريفها في اللغة: فهي تعني اختيار الإنسان لدين يعتنقه ويؤمن به بناء على اقتناع تام، بكامل إرادته دون إكراه أو جبر من أحد. يقول العلامة محمد أبو زهرة:"احترم الإسلام حرية الاعتقاد، وجعل الأساس في الاعتقاد هو أن يختار الإنسان الدين الذي يرتضيه من غير إكراه ولا حمل، وأن يجعل أساس اختياره التفكير السليم، وأن يحمي دينه الذي ارتضاه فلا يكره على خلاف ما يقتضيه"، وبذلك تتكون حرية الاعتقاد من عناصر ثلاثة[34] :

-تفكير حر غير مأسور بشيء سابق من جنسية أو تقليد

- العمل على مقتضى ما يعتقد ويتدين به.

-منع الإكراه على عقيدة معينة، فلا يكره بتهديد من قتل أو نحوه.

لقد قرر القرآن الكريم بأكثر الأساليب وضوحا أن حرية اختيار الدين مكفولة للبشر، قال تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ [البقرة:25]. وقال تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكُوا وَمَا جَعَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ ﴾[الأنعام:107]. وقال: ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ ﴾[الكهف: 29]، وقال: ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ، لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُسَيْطِرٍ﴾[الغاشية:21- 22]

د)- حرية الرأي: إن حرية الرأي هي المدخل المعتبر إلى الإيمان الحق، فلا يكون الإيمان بالعقيدة إيمانا كاملا إلا إذا أنبنى على حرية فكرية، تتيح التدبر الذاتي من غير توجيه من مؤثرات خارجية من موروثات الآباء، أو توجيهات الآخرين، وثمرة اقتناع مبني على حرية النظر. ولهذا أعتبر بعض علماء العقيدة إيمان المقلد إيمانا منقوصا.﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴾[النساء:97].

وقد جعل القرآن الكريم حرية الرأي بمعنى الصدع به وإفشائه بين الناس أساسا من أسس الاجتماع في قيام الأمة والحفاظ عليها، وتمكين وحدتها، ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[آل عمران: 104].

على صعيد الممارسة العملية جاءت السيرة النبوية حافلة بالتطبيقات المثلى لمبدأ حرية الرأي، والتحري في تقصي المعطيات، وفهمها وتمثل حقيقتها قبل بناء الرأي عليها وإعلانه في الناس ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ ﴾[الحجرات: 6].

على أن الحرية مع ذلك لها قوانينها فلا يسوغ أن تتعدى الأخلاقيات والحياة العامة، إذ لابد أن تكون الحرية مما لا تتنافى مع القواعد العامة الضابطة والمانعة من الخروج عن المضمون الإنساني والاجتماعي للحرية، وإلا كانت فوضى، أو إضرارا بالغير، أو تعسفا في استعمال الحق، "لهذا فإن إطلاق الحرية دون قيد لا يعتبر من الحرية، بل تقضي على حرية الآخرين، تحت مظلة احترام الحرية، وهذا مما لا يقبله العقل،كما أنه لا يستقيم مع التكليف.

ومن الضوابط التي تحكم ممارسة الفرد لحقوقه وواجباته وحرياته بما فيها حرية التعبير عن رأيه وحرية المعرفة نجد"[35]:

– الجدل بالحسنى والدعوة بالحكمة: ﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [النحل: 125].

– الامتناع عن الجهر بالسوء: ﴿لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظُلِمَ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا﴾ [النساء:148].

– تجنب كل ما يسبب ضررا للمجتمع، ويتنافى مع مصالحه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾[النور:19].

– الابتعاد عن الزيف والتضليل والتعتيم على الحق: ﴿وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[البقرة:42].

– تجنب انتهاك الحريات الخاصة بالفرد بالتجسس والاغتياب: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ ﴾(الحجرات:12).

هـ)– الإسلام وحرية المرأة: كانت ولا تزال إشكالية حقوق المرأة من بين الإشكاليات التي تأثر بها الفكر الإسلامي الحديث والمعاصر، وحاول جاهدا أن ينسج حلولها على نمط فيه الكثير من الانبطاحية التي تجاري الأطروحات الغربية، والواقع يشهد كما يقول الشيخ أن:"المرأة كانت في العالم كله في منزلة بين الحيوانية والإنسانية، بل هي إلى الحيوانية اقرب، تتحكم فيها أهواء الرجال، وتتصرف فيها الاعتبارات العادية المجردة من العقل، فهي حينًا متاع يُتَخطف، وهي تارة كرة تتلقف، تعتبر أداة للنسل أو مطية للشهوات، وعليه فعندما يتدخل علماء الغرب في موضوع "المرأة في الإسلام فإنهم يجعلون منه ذريعة للنيل من الإسلام"[36].

وهنا يذكر الشيخ مناظراته لعلماء الغرب حول هذه المسألة، مبينا كيف أفحمهم بالحجة والدليل مبينا جهلهم بالإسلام وأصوله قائلا:"ولقد ناظرنا جماعة منهم في الموضوع، فأفحمناهم وألقمناهم حجرا...وكأنهم كانوا لا يعرفون إلا أن المرأة مظلومة في القرآن الذي يقول "للذكر مثل حظ الأنثيين". فقال لنا أحدهم: نعني ميراث البنت مع أخيها، فقلت: أنتم قوم تبتون الحياة كلها على الحساب فهلم "نتحاسب"، ولنفترض أن مورّثاً مسلماً مات وترك ابناً وبنتاً وثلاثمائة نقدا، قال الإسلام للابن مائتان، وللبنت مائة فقلتم، هذا ظلم...ولم تفهموا أن الإسلام نظر إلى المرأة ككل، ونظر إلى مراحل حياتها الثلاث كمنظومة متناسقة، فإذا نقص لها في جزئية، جبر لها جزئية أخرى، ولنجر معكم على مثالنا ولا نخرج عنه، ولنفرض أن الأخوين الذكر والأنثى تزوجا في يوم واحد، وليس لهما من المال إلا ذلك الميراث، فالذكر يدفع لزوجته مائة صداقا، فيسمى بمائة واحدة وأخته تأخذ من زوجها مائة صداقا فتصبح ذات مائتين والذكر مطلوب بالإنفاق على نفسه وزوجته وأولاده إن ولد، وأخته لا تنفق شيئا على نفسها ولا على أولادها"[37]، فهذا هو الميزان العادل في الإسلام.

و)- ضرورة العدل: يرتبط مفهوم الحرية بمفهوم العدل بشكل يكاد يكون تلازمي، بل يمكن القول أن العدل في الإسلام شاملا لكل ميادين الحياة، بما فيها حرية الانسان وهو من الثوابت التي يدعوا إليها الدين، ﴿فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ آمَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ لَاحُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾[الشورى:15]، وهو فريضة واجبة على أولياء الأمور، من الولاة والحكام، تجاه الرعية المتحاكمين: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾[النساء:58].

ولعلّ أدل ما جاء في القرآن الكريم من آيات في العدل بيانا لمكانته في العمران البشري، ما يدل على أنه"ما حاربت الشرائع السماوية الشرك بالله لمجرد أنه شرك به سبحانه، وإنما لما يحمل في طياته من بواعث الظلم والطغيان التي ينحرف بها الناس عن العادل، فيكون ذلك سبب في هلاك الأمم وشقاء الناس وهو نقيض مراد الله في خلق واستخلافهم، في عمارة الأرض، وحكمته في إمضاء سننه في خلقه وفي الاجتماع البشري"[38]، المبينة لأسباب فساد الأفراد والأمم وأسباب صلاحهم ورقيه، وفي إنزال الوحي على رسله لهداية الناس وانتظام حياتهم في الدنيا مع العدل الذي فيه الاشتراك في أنواع الإثم، أكثر مما تستقيم مع الظلم في الحقوق وإن لم تشترك في إثم، ولهذا قيل إن الله يقيم الدولة العادلة وإن كانت كافرة ولا يقيم الظالمة وإن كانت مسلمة، ويقال الدنيا تدوم مع العدل والكفر، ولا تدوم مع الظلم والإسلام، وذلك أن العدل نظام كل شيء[39] .

إن العدل فريضة واجبة سواء أكان الأمر تجاه المؤمنين أو الكفار،تجاه الأصدقاء والأعداء وكذلك نجدها واجبة حتى لو صادمت "الميل والهوى"، بسبب تناقضها مع المصلحة الذاتية، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَى بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَى أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾[النساء: 135].

ومن الصور التي استعلى فيها الانسان وتطاول ليؤله نفسه ويعيث في الأرض فسادا، يقص علينا القران الكريم قصة فرعون، ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾[القصص:4]. الذيلم يكتف بتقسيم المجتمع، وتفتيته، وقتل من شاء، واستحياء من أراد، بل عمد إلى حمل الناس على عبادته، وإكراههم على تقديسه: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي﴾[القصص:38].

إن هذا التألّه سببه الاستغراق في حب الذات، الذي يبعث على التسلط ويدفع إلى التحكم واستعمال كل الممكنات لإشباع نهم "الأنانية"، ويحمل الفرد على أن يصبح همه الوحيد الانفراد بعظمته التي تصرفه عن رؤية ما فيه من نقص، وبذلك يتحول الفرد من"الأنا الجزئية" إلى"الأنا الكلية"، إذ يصوّر له وهم نفسه:أن لا وجود إلا وجوده ولا كمال إلا كماله، ولا رأي إلا رأيه، ولا علم إلا علمه، حتى لا تزاحم عظمته عظمة أخرى[40] .

وقد جاء في باب تحريم الظلم من الأحاديث النبوية رواية عن ربه سبحانه قال: "يَا عِبَادِي إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا فَلَا تَظَالَمُوا..."[41] .

وفي حديث آخر قال: "الظُّلْمَ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ"[42]. ودل صحيح الحديث على أن منع الظالم من الظلم هو في الإسلام نصرة له لقوله :" انْصُرْ أَخَاكَ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَذَا نَنْصُرُهُ مَظْلُومًا، فَكَيْفَ نَنْصُرُهُ ظَالِمًا؟ قَالَ: تَأْخُذُ فَوْقَ يَدَيْهِ"[43]. كما أوجب الحديث على الأمة أن تأخذ على يدي الحاكم الجائر لتمنعه من الجور، فإن لم تفعل كان ذلك سبب في بلاء عظيم ومفسدة كبرى، وذلك في قوله :"وَاللَّه لَتَأْمُرُنَّ بِالْمعْرُوفِ، وَلَتَنْهوُنَّ عَنِ الْمُنْكَرِ، ولَتَأْخُذُنَّ عَلَى يَدِ الظَّالِمِ، ولَتَأْطِرُنَّهُ عَلَى الْحَقِّ أَطْراً، ولَتقْصُرُنَّهُ عَلَى الْحَقِّ قَصْراً، أَوْ لَيَضْرِبَنَّ اللَّه بقُلُوبِ بَعْضِكُمْ عَلَى بَعْضٍ، ثُمَّ لَيَلْعَنكُمْ كَمَا لَعَنَهُمْ "[44] .

ولهذا حذر المولى عزّ وجل من الركون للظالمين، ﴿وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنْصَرُونَ ﴾[هود:113]، "أي لا تسندوا إليهم فتجعلوهم ركنا لكم تعتمدون عليهم فتقرونهم على ظلمهم وتولونهم في السياسات والأعمال، أو يستعملونكم فيما تحت يدهم من سلطان، ويقدمونكم في ولايتهم لما أنسوا منكم الاستعداد للركون إليهم والاستظلال بسلطانهم لدنيا تصيبونها، فإن الظّلمة من الحكام يؤثرون تقديم من يقيم رئاستهم، شأن من يطلب رياسة نفسه"[45].

وفي مجرى هذا الصراع الدائر والدائم رفع الله الحرج عن المظلومين إن هم هبّوا لمقاومة الظالمين، فلا سبيل عليهم في ذلك، بل هم مأجورون، ﴿وَلَمَنِ انْتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[الشورى:41-42].

خاتمة:

خلاصة القول أن سؤال الحرية في التأصيل الإسلامي- بعيدا عن النقاشات الكلامية حول القضاء والقدر- يرتكز، على أساس قاعدة فكرية ذات اتجاهات فلسفية وأخلاقية، تعتبر الإنسان مخلوقا مكرما من الله تعالى، خلق في أحسن تقويم، ومنح العلم والحكمة وفضّل بالعقل على سائر المخلوقات، واستخلف لعمارة الأرض. وقد جعل الله تعالى الحرية أمرا فطريا، تولد مع الإنسان وتحرره من عبودية الآخرين، التي تعيق تطوره وتكامله ضمن التكليف الإلهي المستأمن عليه، وربط الإسلام فعاليات الحياة الدنيا بحياة الآخرة، في كل متماسك لا ينفصم، منطلقا من النظرة الكلية للكون والحياة، وموقع الإنسان فيهما، ودوره والغاية من وجوده المتمثل في عبادة الله، بالمعنى الواسع للعبادة كطلب العلم، والاجتهاد في العمل، وعمارة الأرض بما ينفع الناس، ومجاهدة النفس، بمعنى التربية الروحية، والمشاركة الحقيقية في إدارة المجتمع، وتحديد معالم النظام السياسي والاجتماعي، انطلاقا من الشورى والعدالة والمساواة، فالواجبات (الحقوق) تكتسب بهذه الرؤية بعدا إنسانيا، خاليا من كل الفوارق التميزية.

إضافة إلى أنها ذات قدسية أعلى من أي سلطة دنيوية حاكمة، فالله هو مصدر كل الحقوق، والحقوق من خلال البعد الإسلامي ليست منّة من سلطان أو حاكم، بمعنى أن الحقوق أصلية في الإنسان، لأنها خلقت فيه منذ النشأة الأولى، وبالتالي فهي حقوق سامية ومطلقة، منها على سبيل المثال، حق الإنسان في الحياة وحق العيش الكريم، والمساواة بين الجميع، وحرية الرأي والتعبير والعقيدة...الخ والمثير للانتباه أنها حقوق ذات أبعاد جماعية،

وهي من أبرز سمات الخطاب الحقوقي في الرؤية الإسلامية، التي تركت مصلحة فارغة في التشريع، وهي المنطقة التي تركت للمجتمع، لكي يملأها وفق احتياجاته واجتهاداتها التي تتحرك داخل دائرة القيم الإسلامية.

وما عجز الأمة هذه الأيام التي اشتدت فيها الخلافات، إنّما راجع لتعاملنا مع كل هذه المتغيرات بوسائلنا القديمة وغلقنا باب الاجتهاد، حيث تطورت الحياة، وسار الركب مسافات ومسافات ونحن لم نغير اجتهاداتنا، بسبب إهمال العقل المقاصدي. ونحن مدعوون إلى أن نردّ الاعتبار للإنسان في العالم الإسلامي، باحترام حقوقه كاملةً غير منقوصة، في إطار ما تقضي به وتْوجِبُه المبادىء الإسلامية، وبتوفير سبل العيش الكريم له في كنف الحرية والمسؤولية والشعور بالكرامة، على المستويَيْن الذاتي والموضوعي.

الهوامش:

[1] ابن منظور، لسان العرب، دار ومكتبة الهلال، (د.م.)، (د.ت)، ص 170

[2] صليبا، جميل، المعجم الفلسفي، ج1، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1982، ص 156

[3] صليبا، جميل، مرجع سابق، ص156

[4] ابن عربي، محي الدين، فصوص الحكم، دار الكتاب اللبناني بيروت،(د .ت)، ص 144-145

[5] التهانوي، محمد علي، موسوعة كشاف إصلاحات الفنون والعلوم،ج1، ط.1، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت: 1996، ص281

[6] ابن عربي، محي الدين، المصد السابق،ص214

[7] الجيلي، عبد الكريم، مراتب الوجود وحقيقة كل موجود، ط1،مكتبة القاهرة، القاهرة، 1999، ص53، 54

[8] ابن رشد، الوليد، مناهج الأدلة في عقائد الملة،تحقيق محمود قاسم، ط2،مكتبة الأنجلومصرية، مصر، 1964، ص240

[9] يرى الماديون أن الإنسان هو الحيوان الكامل، وإن الفرق بين الإنسان والحيوان، إنما هو فرق في الدرجة وليس في النوع، فليس هناك جوهر إنساني متميز. الذي يوجد فحسب، فكرة تاريخية واجتماعية محددة عن الإنسان، والتاريخ الاقتصادي والاجتماعي وحده هو التاريخ الذي يوجد على الحقيقة. والنتيجة: إن الإنسان نظام كغيره من النظم في الطبيعة، يخضع بدوره لقوانين الطبيعة الحتمية العامة. و تطور الإنسان متأثر بحقيقة موضوعية خارجية ـ هي العمل. أو كما قال فردريك إنجلز: "أن العمل قد خلق الإنسان بالذات". أنظر: فريديريك إنجلز، دور العمل في تحول القرد إلي إنسان، موسكو،دار التقدم، بدون بيانات، ص3 .

[10] استقراء المواضع التي ورد فيها مفهوم، الإنسان، الناس، الإنس، البشر في القرآن الكريم، يبين لنا أن المفاهيم المذكورة لم ترد في القرآن الكريم بنفس المعنى والتوظيف. فلفظ "بشر" ورد في القران الكريم في 35 وثلاثين موضعا. ولفظ "الناس" ورد في 240 موضع. في حين ورد لفظ "الإنس" في 18 موضعا. أما لفظ "الإنسان" فقد ورد في 65 موضعا، وآيات الخلق التي وردت في القرآن الكريم جاءت كلها في سياق العظة والاعتبار. وفيها إجابات كافية عن تلك الأسئلة الوجودية التي طالما شغلت العقل البشري، وحيّرت الإنسان قديمًا وحديثًا ، وهى : من أين أتيت ؟ لماذا أنا موجود ؟ ما هو المصير ؟ومنها:

- ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ، وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نَارِ السَّمُومِ، وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ، فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾ (الحجر:26-29).

- ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ، ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ، ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾(المؤمنون:12-14)

[11] النجار، عبد المجيد، خلافة الإنسان بين الوحي والعقل، ط2،دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1993، ص 452

[12] الماهية: "تطلق غالبا على الامر المتعقّل، مثل المتعقل من الانسان، وهو الحيوان الناطق مع قطع النظر عن الوجود الخارجي، والامر المتعقل، من حيث انه معقول في جواب ما هو، يسمى: ما هية، ومن حيث ثبوته في الخارج، يسمى حقيقة، ومن حيث امتيازه عن الاغيار، هوية...ماهية الشيء، ما به الشيء هو هو، وهي من حيث هي هي لا موجودة، ولا معدومة، ولا كلي، ولا جزئي، ولا خاص، ولا عام". انظر:

الجرجاني، علي ابن محمد، التعريفات، تحقيق الابياري ابراهيم، (د.م)، دار الريان للتراث، (د،ت)، ص250، 251.

علماأن الفلاسفة والمتكلّمون قد اختلفوا في تعريف الوجود وبيان حقيقته، وبيان نوع علاقته بالماهية. فالفلاسفة يتفقون بأنّ الوجود هو لفظ يدلّ على معنى غير المعنى الّذي يُدَلُّ به على الماهية، ووافقهم في ذلك المتكلمون بالقول أنّ الوجود يقال بالتّشكيك، وأنّه حقيقة غير حقيقة الماهية، وقالوا بمخالفة الوجود للماهية في واجب الوجود كذلك.

وقد خالفهم في ذلك ابو الحسن الاشعري بقوله: بأنّ الوجود كلّه هو عين الماهية، ولذلك فعنده الوجود إنّما يُقَال على مصدوقاته بالاشتراك اللّفظي، كما تقال العين على مصدوقاتها، وأنّه ليس وراء لفظة الوجود من معنى آخر غير الماهية نفسها، ولا يمكن أن يكون هناك حقيقة أخرى غير الماهية المتحقّقة في الأعيان توصف بها الماهية بالوجود. للتفصيل في مسألة العلاقة بين الوجود والماهية انظر: ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ج2، كتاب توحيد البوبية، فصل: فيمن لم يفرق بين الماهية والوجود.

[13] النجار، عبد المجيد، المرجع السابق، ص31

[14] جاء في الحديث: "إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ في بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا ثُمَّ يَكُونُ في ذلك عَلَقَةً مِثْلَ ذلك ثُمَّ يَكُونُ في ذلك مُضْغَةً مِثْلَ ذلك ثُمَّ يُرْسَلُ الْمَلَكُ فَيَنْفُخُ فيه الرُّوحَ وَيُؤْمَرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ بِكَتْبِ رِزْقِهِ وَأَجَلِهِ وَعَمَلِهِ وَشَقِيٌّ أو سَعِيدٌ فَوَا الَّذِي لَا إِلَهَ غَيْرُهُ إِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ حتى ما يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إلا ذِرَاعٌ فَيَسْبِقُ عليه الْكِتَابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ فَيَدْخُلُهَا وان أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ حتى ما يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إلا ذِرَاعٌ فَيَسْبِقُ عليه الْكِتَابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَيَدْخُلُهَا."مسلم، بن الحجاج، صحيح مسلم، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض، 2006م، كتاب: القدر، باب: كيفية الخلق الآدمي،ج1، حديث رقم 2643، ص1220.

[15] الخطيب، حورية، الإسلام ومفهوم الحرية، ط1،قبرص، دار الملتقى للطباعة والنشر، 1993م، ص58.

[16] التيجاني، عبد القادر، أصول الفكر السياسي في القرآن المكي، ط1،دار البشير للطباعة والنشر، عمان،1995، ص 69

[17] اشار القرآن الكريم الى شروط التمكين واهدافه في مواضع عديدة. ومن ذلك قوله تعالى في شروط التمكين: ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾(النور:55). واما غايات التمكين للإنسان فليست السيطرة والهيمنة على الغير والتعدي على حقوقهم، وانما يرتبط التمكين بالتكليف والمسؤولية﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾(الحج:41).

[18] الجابري، محمد عابد، الديمقراطية وحقوق الإنسان، ط3،مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2004، ص204

[19]نجد هذه التفرقة بين النفس والجسد قائمة بشكل جلي في كتابات رجالات الكنيسة المسيحية وعلى الخصوص القديس أوغسطين، الذي أكدّ على أن أمور الإنسان مقسمة إلى قسمين: دينية مصدرها الجانب الروحي، ودنيوية مصدرها الجانب الجسدي. فبالرغم من التنوع الهائل للأمم المتعددة في الأرض لكل منها عاداته وتقاليده، ولغته وأسلحته، وملابسه المتباينة للغاية، يمكننا أن نقول مع الكتاب المقدس، أنه لا يوجد إلا فريقان من البشر ومدينتان، واحدة هي مدينة البشر، الذين يريدون العيش وفقا للجسد، والأخرى مدينة البشر، الذين يعيشون وفقا للروح.أنظر: الخضيري زينب. لاهوت التاريخ عند القديس أوغسطين، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 1998، ص6.

- والرأي نفسه تؤكده رسائل القديس بولس، التي جاء في البعض منها ما يشير الى تحقير الجسد والحط من قيمته: "فَإِنَّ الَّذِينَ هُمْ حَسَبَ الْجَسَدِ فَبِمَا لِلْجَسَدِ يَهْتَمُّونَ، وَلكِنَّ الَّذِينَ حَسَبَ الرُّوحِ فَبِمَا لِلرُّوحِ .لأَنَّ اهْتِمَامَ الْجَسَدِ هُوَ مَوْتٌ، وَلكِنَّ اهْتِمَامَ الرُّوحِ هُوَ حَيَاةٌ وَسَلاَمٌ .لأَنَّ اهْتِمَامَ الْجَسَدِ هُوَ عَدَاوَةٌ للهِ، إِذْ لَيْسَ هُوَ خَاضِعًا لِنَامُوسِ اللهِ، لأَنَّهُ أَيْضًا لاَ يَسْتَطِيعُ .فَالَّذِينَ هُمْ فِي الْجَسَدِ لاَ يَسْتَطِيعُونَ أَنْ يُرْضُوا اللهَ".رسالةالقديس بولس إلى أهل رومية:(3-8)

وقوله في موضع آخر: "وَأَعْمَالُ الْجَسَدِ ظَاهِرَةٌ، الَّتِي هِيَ: زِنىً عَهَارَةٌ نَجَاسَةٌ دَعَارَةٌ، عِبَادَةُ الأَوْثَانِ سِحْرٌ عَدَاوَةٌ خِصَامٌ غَيْرَةٌ سَخَطٌ تَحَزُّبٌ شِقَاقٌ بِدْعَةٌ، حَسَدٌ قَتْلٌ سُكْرٌ بَطَرٌ، ... إِنَّ الَّذِينَ يَفْعَلُونَ مِثْلَ هذِهِ لاَ يَرِثُونَ مَلَكُوتَ اللهِ. وَأَمَّا ثَمَرُ الرُّوحِ فَهُوَ: مَحَبَّةٌ فَرَحٌ سَلاَمٌ، طُولُ أَنَاةٍ لُطْفٌ صَلاَحٌ، إِيمَانٌ، وَدَاعَةٌ تَعَفُّفٌ. ضِدَّ أَمْثَالِ هذِهِ لَيْسَ نَامُوسٌ. وَلكِنَّ الَّذِينَ هُمْ لِلْمَسِيحِ قَدْ صَلَبُوا الْجَسَدَ مَعَ الأَهْوَاءِ وَالشَّهَوَاتِ. إِنْ كُنَّا نَعِيشُ بِالرُّوحِ، فَلْنَسْلُكْ أَيْضًا بِحَسَبِ الرُّوحِ ".رسالة القديس بولس إلى أهل غلاطية 5:(19-22).

[20] انظر على سبيل المثال كتاب: كرواس، لورانس، كون من لاشيء، ترجمة، الحلواني، غادة، منشورات الرمل، مصر، 2015

[21]جاء لفظ الحرية في كلام العرب مطلقا على معنيين، أحدهما ناشئ عن الآخر المعنى الأول: ضد العبودية وهي أن يكون تصرف الشخص العاقل في شؤونه بالأصالة تصرفا غير متوقف على رضا أحد آخر...ويقابل الحرية بهذا المعنى العبودية وهو أن يكون المتصرف غير قادر على التصرف أصالة،إلاّ بإذن سيده،وقد نشأ هذا الوصف-أعني العبودية-عن الغلبة والقوة في أزمنة تحكيم القوة،كالحروب والغارات،فالأسير في مدة الأسر هو العافي،ثم إذا شاء الذين أسروه إيفاء حياته،جعلوه عبدا يخدمهم... وربما باعوه فانتفعوا بثمنه،فصار عبدا لمن دفع فيه الثمن،والمعنى الثاني:ناشئ عن الأول بطريقة المجاز في الاستعمال،وهو تمكن الشخص من التصرف في نفسه وشؤونه كما يشاء دون معارض.ويقابل هذا المعنى الضرب على اليد أو اعتقال التصرف وهو أن يجعل الشخص الذي يسوء تصرفه في المال -لعجز أو لقلة ذات يد،أو لقلة كاف،أو لحاجة- بمنزلة العبد في وضعه تحت نير إرادة غيره في تصرفه،وكلا هذين المعنيين للحرية جاء مراد للشريعة،إذ كلاهما ناشئ عن الفطرة،إذ كلاهما يتحقق فيه معنى المساواة التي تقرر أنها من مقاصد الشريعة،ولذلك قال عمر رضي الله عنه"متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا" أي فكونهم أحرارا أمر فطري".بن عاشور، محمد الطاهر. مقاصد الشريعة، تحقيق الميساوي، محمد الطاهر، دار النفاش للنشر والتوزيع، الأردن، ط1،2001، ص 390،391.

[22] عبد المجيد النجار، عبد المجيد، خلافة الإنسان بين الروحي والعقل، المرجع السابق، ص 64

[23] النجار، عبد المجيد المرجع السابق، ص64

[24] النجار، عبد المجيد المرجع نفسه، ص65

[25] الخطيب، حورية، المرجع السابق، ص 64

[26] الخطيب، حورية، المرجع نفسه، ص 65

[27]تمام، بشير عبد العالي. "الحريات الشخصية في إطار الحريات العامة"، مجلة التنوير،السودان، ع.7،أوت 2009، مركز التنوير المعرفي،ص 103-128

[28] آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي،ج4، جمع وتقديم أحمد طالب الإبراهيمي،ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1997،ص،354 .

[29]بل أن بعض الحضارات كانت تعتبر العبودية امر طبيعي وهذا ما يشير اليه قول الفيلسوف اليوناني ارسطو طاليس:"بعضهم عبيد بالطبع وبعضهم أحرار بالطبع، وأن هذه الصفة أو تلك بيّنة في فئة دون فئة وأنه يصلح لهذه أن تستعبد ولتلك أن تتسلط، وأنّ الإمرة التي خلق لها بعضهم والائتمار الذي يحيل له البعض الآخر

عادلان، لا بل متوجبان، ومن ثم فالسيادة أيضا عادلة ومتوجبة". انظر: أرسطو، طاليس. السياسات، نقله للعربية، الأب أوغسطين باربارة البولسي، (د. م.)، بيروت، 1957، ص212

[30]آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي،ج4، ص364،365.

[31]بن عاشور، محمد الطاهر، مقاصد الشريعة، تحقيق الميساوي، محمد الطاهر، ط1، دار النفاش للنشر والتوزيع، الأردن، 2001، ص 392

[32]الصالح، محمد أحمد صالح، حقوق الإنسان في القرآن والسنة وتطبيقاتها في المملكة العربية السعودية، (د. بيانات)، ط2002،1، ص 46

[33]الجابري محمد عابد، الديمقراطية وحقوق الإنسان، مرجع سابق، ص 214

[34]أبو زيد، وصفي عاشور، الحرية الدينية ومقاصدها في الإسلام، ط1،دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، مصر، 2009، ص 31-32

[35]المتوكل، محمد عبد المالك،الإسلام وحقوق الإنسان، ضمن حقوق الإنسان العربي، ط2،مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2004، ص126

[36]آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي،ج4،ص360

[37]المرجع نفسه،362

[38]فريد، عبد الخالق،في الفقه السياسي الإسلامي، ط1،مصر: دار الشروق، 1998، ص 201

[39]فريد، عبد الخالق، المرجع نفسه، ص201

[40]فريد، عبد الخالق، المرجع نفسه ، ص205

[41]مسلم، بن الحجاج، صحيح مسلم، ط1،دار طيبة للنشر والتوزيع، 2006م، الرياض، كتاب: البر والصلة، باب: تحريم الظلم، ج1، حديث رقم 2577، ص1198-1199

[42]البخاري، محمد بن إسماعيل. صحيح البخاري، ط.1، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، 2004م، كتاب: المظالم، باب: الظلم ظلمات يوم القيامة، ج1، حديث رقم2447، ص548

[43]البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، ط1،مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة،2004، كتاب: المظالم، باب: اعن أخاك ظالما أو مظلوما، ج1، حديث رقم2444، ص547

[44]الترميذي، محمد بن عيسى، الجامع الكبير، تحقيق: بشار عوّاد معروف، ط.1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1996، كتاب: أبواب الفتن عن رسول الله ﷺ ، باب:ما جاء في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ج4، حديث رقم2169، ص41-42

[45] فريد، عبد الخالق،في الفقه السياسي الإسلامي، مرجع سابق، ص211

المصادر والمراجع:

- ✓ القران الكريم
- ✓ الحديث

01-ابن منظور، لسان العرب، دار ومكتبة الهلال، (د.م)، (د.ت.)

02- صليبا، جميل، المعجم الفلسفي،ج.1، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1982.

03-ابن عربي، محي الدين، فصوص الحكم، دار الكتاب اللبناني، بيروت، (د.ت.).

04-التهانوي، محمد علي، موسوعة كشاف إصلاحات الفنون والعلوم، ج.1، ط.1،مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، 1996.

05- ابن رشد، الوليد، مناهج الأدلة في عقائد الملة،تحقيق محمود قاسم، ط.2، (د.م.)، مكتبة الأنجلومصرية، 1964.

06-النجار، عبد المجيد، خلافة الإنسان بين الوحي والعقل، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1993.

07-الخطيب، حورية، الإسلام ومفهوم الحرية، ط1، دار الملتقى للطباعة والنشر، قبرص، 1993.

08-التيجاني، عبد القادر، أصول الفكر السياسي في القرآن المكي، ط.1، دار البشير للطباعة والنشر، عمان، 1995.

09-الجابري، محمد عابد، الديمقراطية وحقوق الإنسان، ط3، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2004.

10-عصمت محمود، أحمد سليمان، "التأسيس الفلسفي لمفهوم الحرية الإنسانية وفق منظور قرآني"، مجلة التنوير المعرفي، السودان،ع.7، أوت 2009، مركز التنوير المعرفي.

11-تمام، بشير عبد العالي، "الحريات الشخصية في إطار الحريات العامة"، السودان، مجلة التنوير، ع.7،أوت 2009،مركز التنوير المعرفي.

12-الصالح، محمد أحمد صالح، حقوق الإنسان في القرآن والسنة وتطبيقاتها في المملكة العربية السعودية، ط.1، (د. بيانات)، 2002.

13-بن عاشور، محمد الطاهر، مقاصد الشريعة، تحقيق الميساوي، محمد الطاهر، ط1، دار النفاش، الأردن، 2001.

14- فرج عطية، محمد، حقوق الإنسان بين هدى الرحمان واجتهاد الإنسان، ط.1، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 2005.

15- أبو زيد، وصفي عاشور، الحرية الدينية ومقاصدها في الإسلام، ط1، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، مصر، 2009.

16- المتوكل، محمد عبد المالك،الإسلام وحقوق الإنسان، ضمن حقوق الإنسان العربي، ط2، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2004

17- فريد، عبد الخالق. في الفقه السياسي الإسلامي، ط1، دار الشروق، مصر، 1998.

18- محمد التومي، محمد، المجتمع الإنساني في القرآن، ط.2، الجزائر-تونس، المؤسسة الوطنية للكتاب-دار التونسية النشر، 1990.

19- علي عيسى عثمان، (الإعتراف بالإنسان هو الأصل في حقوق الإنسان)، ضمن: حقوق الإنسان الرؤية العالمية والإسلامية والعربية، ط.2، مركز دراسات الوحدة العربية بيروت، 2007.